الفصل الثانى

بواعث التأمل فى الأدب المهجرى

بعد دراسة متأنية للظروف والملابسات التى أحاطت بحياة أدباء المهجر استطعت أن أحدد أهم البواعث التى دفعتهم إلى التأمل .

وهى وإن كانت تختلف من أديب إلى آخر . إلا أن الظروف العامة للحركة الأدبية المهجرية تتشابه مهما تنوعت خيوطها فهىّ تمثل شرنقة واحدة نعم فيها هؤلاء المغتربون بالأسوار الحريرية انتظارا لزمن التحول والتحليق فى العالم الرحب حيث يصيرون فراشات تمتص رحيق الطبيعة وتهب العالم أعذب ماوعى من مغانى الأمل والألم .

وحاولت أن أستفيد من بعض نظريات علم النفس العام والأدبى فى تقويمى لهذه البواعث على ضوء الظروف السياسية والإجتماعية والثقافية التى مر بها هؤلاء الأدباء ..وأهم هذه البواعث يتمثل فى الآتى : -

أولاً : التكوين النفسى :

يُقَسّم الدكتور يونج : الطبيب السويسرى " الناس من حيث أحوالهم المزاجية إلى طائفتين ، الطائفة الانبساطية أو العملية والطائفة الانكماشية أو التأملية .

فأفراد الطائفة الأولى يميلون إلى النشاط والعمل ولاتهدأ أنفسهم إلا إذا حققوا رغباتهم

أما أفراد الطائفة الثانية فيميلون إلى الانكماش ويكتفون بالتأمل والبحث وجمع العلوم والمعارف والتأليف والتدريس ويسلكون فى الغالب مسلك الزهد والتقشف فى الحياة (١) .

وبتأمل حياة المهجريين رأيت أغلبهم يميل إلى الأنكماش والتأمل فهم من الطائفة الثانية

..

ويظهر هذا جليا في دعوة جبران إلى حياة الغاب بعيداً عن زحام المدينة وهروب أبى ماضى من القصور إلى القفر ، وامتطاء المعلوف بساط الريح ليرى العالم من فوق ، ويكتشف أبعاداً جديدة يُغَيّر بها عالمه الذى أصبح رمزاً للعبودية والمهانة .

---

(١) حامد عبد القادر . دراسات فى علم النفس الأدبى ص ١١٧ – ١١٨ .

ونعيمة الذى آثر الصمت والعزلة واعتصم بالجبل .. ووصفه فى براعة وحب وثورة على التنّين الذى يرمز به إلى نيويورك ، لقد اندمج بالأفق حتى كأن السماء تتوكأ عليه . أو كأنه عماد قبتها الفسيحة الزرقاء . وإذا التصق بالسماء وقف ثابتاً ساكتاً ، كاشفا صدره لأشعة الشمس ، مُبرداً قدميه فى لجة البحر ، وباعثا فى الهواء أنفاسه الباردة بلسما للبشر والبهائم والحقول . هو صنين . فلذة من كبد الأرض وشامة فى خد السماء (١) ومن الشخروب وسفح صنين أخذ نعيمة يطلق شراراته الفكرية التى تمثل تجربته ونفسيته أصدق تمثيل .

وهم برغم هذا لم يتنوقوا ثمارهم الطيبة التى قدموها للناس ، وضحوا بسعادتهم مقابل إسعاد الآخرين .. وترجم هذه الحقيقة شعرا إيليا أبو ماضى فقال :

بنيت فردوسى وزخرفته حتى إذا ماتم ضَيَّعْتُه
أجريت فى أنهاره كوثرا فذاقه الناس وماذقْتُه (٢)

والبيتان السابقان يمثلان قصيدة كاملة . وهى وإن كانت تعد أقصر قصيدة إلا أنها تمثل حياة كل نفس وإحساس كل قلب يعانى من الصراع الحاد بين البقاء والفناء .

فلكل إنسان فردوس يبنيه ويزخرفه ، وربما يزخرفه قبل أن يشيده ، وربما يبنيه ولا يزخرفه ، والبناء ربما يكون خياليا ، وهو الغالب الأعم وخلفه تكمن المأساة وربما يكون عمليا وفى خلاله تنضح الحياة بالمعاناة والأرق والثمرة لانصيب منها للنفس ، والرائع فى هذا التعبير الإنسانى المشع أنه ينطوى على حياة أدّتْ دورها فى السباق الزمنى المفروض فبنت وزخرفت وشقت الأنهار وأسعدت الناس برحيقه المصفى ، وخوضٌ مثل هذه التجربة استشهاد فى ميدان الحياة الصعب وكلنا شهيد إن أردنا ولكن ماأكثر الذين يهابون اقْتحام الأخطار .

وتضحية الفنان بنفسه وذوبانه فى الجموع حقيقة يؤكدها علم النفس الحديث لأن الاستعداد على نحو خاص للفن يتضمن شحنة من الحياة الروحية الجُمعِيّة مقابل الحياة الشخصية . فالفن نوع من الدفع الداخلى الذى يستولى على الكائن البشرى ويجعل منه أداة له.

فالفنان إنسان " جَمْعى " يستطيع أن ينتقل ويشكل اللا شعور أو الحياة الروحية للنوع البشرى .

---

(١) ميخائيل نعيمة . المراحل ص ٧٠٣ .
(٢) إيليا أبو ماضى : تبر وتراب ص ١٣٣ .

وهو لكى يؤدى هذه الوظيفة الصعبة يكون من اللازم له فى بعض الأحيان أن يضحى بالسعادة ، وبكل مامن شأنه أن يجعل الحياة محببة إلى الكائن البشرى العادى (١) .

وحياة الفنان لايمكن إلا أن تكون مليئة بألوان الصراع لأن فى داخله قوتين تتصارعان هما ، الميل البشرى للسعادة والرضاء والاطمئنان فى الحياة من جهة وشوق جارف إلى الإبداع قد يذهب بعيداً إلي حد أن يتغلب على كل رغبة شخصية من جهة أخرى " (٢) .

ثانياً : الغربة والتوق إلى الانعتاق من القيود المادية والنفسية : -

لقد كان المهاجرون يعيشون فى بيئة هم عنها جد غرباء وكانوا يعانون من غربة الحس والفكر والروح ، وكانوا يشعرون بالاختناق فى هذا الجو الذى تتحكم فيه الآلة ويريدون الانطلاق إلى عالمهم الروحى المثالى .

واصطدامهم بالمجتمع الجديد بما يضج فيه من آلات وصراع رهيب يشد العقول إلى بريق المادة فينسى الناس كل نبضة حب وخفقة حنان . والانتماء لكل عاطفة إنسانية خالدة ... كل هذه الضغوط أدت إلي نفور هؤلاء الأدباء من مواصفات هذا المجتمع " الديناميكى " وإطلاق العنان للعاطفة الإنسانية والوجدان الصافى ، والفكر المتلاحم مع شوق الإنسان للخلاص والسمو بروحة إلى آفاقه الرحيبة . والارتقاء بعقله فوق عالم المادة وخوض تجارب التأمل فى نفسه ، ووجوده وعقيدته وماحوله من مظاهر الطبيعة والحياة والموت وكان الشعر فى أغلب تجاربهم قاربهم السحرى الذى عبر به بعضهم إلى الشاطىء الآخر وبعضهم ظل تائها عن الميناء ، والبعض الآخر لم يهتد فكان من المُغْرَقين .

وهم فى غربتهم شعروا بالحنين إلى الماضى . والحنين إلى الماضى من أكبر العوامل فى اتقاد جذوة التأمل .

فحدوث الموقف الجمالى أو التأملى يكون رائعاً ، حينما نفكر فى أيامنا الماضية لكى نعيش الماضى من جديد ، لا لكى نبكى عدم استغلالنا لوقتنا أو لنستمد من الماضى دروسا تفيدنا فى المستقبل (٣) .

---

(١) د / عز الدين اسماعيل : التفسير النفسى للأدب ص ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .

(٣) روستر يفورهاملتون . الشعر والتأمل ص ١١٧ .

وإيليا أبوماضى يعتقد : أن نفخةً فى الناى على سكينة النفس ونغمة فى العود مع هدأة الروح قد تبلغ بسامعها أو عازفها إلى أبواب السماء مالا تبلغه بروج نيويورك وناطحات سحابها (١) ويقول فى كمنجة " سامى الشوى "

نيويورك ياذات البروج التى ... سمت وطالت كى تمس الغمام
لن تبلغى والله باب السماء ... الا بأوتار كنار الشآم (٢)

ويحن القروى إلى ماضيه ويسترجع خياله صورة وطنه فيصرخ من أعماقه :

حتام أحيا غريبْ ... مالى وطنْ
يا يوم وصل الحبيبْ ... أنت الزمنْ
كم لى بتلك السفوحْ ... من موقف
والشمس طورا تلوحْ ... أو تختفى
فى ظل روض يفوحْ ... بالمضعف

ياحسن يوم تؤوب ... بنا السفن
نشتم قبل الغروب ... ريح الوطن (٣)

- وشفيق معلوف يصور لحظة الوداع تصويرا فنيا دقيقا حيث تسافر بهم الأيام إلى المجهول :

مجاديف عبر اليم طاب لها صدى ... يرجعه صفْق على الموج هادىء
متى رحن يشققن العباب تصاعدت ... من القعر تجرى خلفهن اللآلىء
يُدفّعْن فتيانا تذريهمُ النوى ... على كل أفق والرياح تناوىء
فوالله ماأدرى أعند وداعهم ... تئن الصوارى أم تئن المرافىء
أطلوا بوجه من كوى السفن واجم ... كأنى بهم دمع بكته الشواطىء (٤)

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : الشعر العربى فى المهجر ص ٤٩ .
(٢) إيليا أبو ماضى : الخمائل ص ١٠٣ .
(٣) القروى : ديوان القروى جـ١ ص ١٤٣ .
(٤) شفيق معلوف : نداء المجاديف ص (١٤ - ١٥) .

ويصور "نعيمة" فى مقالته "مشهدان" هذه البيئة تصويرا فنيا يجسد غربته ورفضه

يقول : الشمس فى السماء – لكن من فى الحديقة يشعرون بها ولايرونها لأنها مقنعة بقناع أغبر كثيف ، ليس ضبابا ولا سحابا . إن هو إلا أنفاس التّنّين المتصاعدة من ألوف المداخن ، وملايين النوافذ ، وجبال متراكمة من الحديد والحجر والقير والأسفلت .

تتصاعد هذه الأنفاس فى الهواء فينوء تحتها الهواء .

ترفعها الأرض بكل قواها إلى فوق فتشمئز منها السماء .

وتضغط بها إلى أسفل . فتبقى عالقة بين الأرض والسماء .

حافظة من الشمس حراوتها ، خانقة من النسيم أنفاسه ، ضاغطة بصفائح من حديد محمية فى نار جهنم على صدر التنين المتمدد بين نهرين الفاغر فاه ليشرب البحر ويبتلع البر دون أن يرتوى يوماً أو يشبع " (١) .

ويقول جبران : " فالحياة هنا طاحنة شبيهة بدواليب تحركها أيد خفية ليلا ونهاراً ... فليس غريبا أن يحس هؤلاء القرويون بالوحشة والضياع وأن ينظروا تبعا لذلك فى الحياة من أساسها ويسألوا أنفسهم . مامعناها ؟ ومامعنى وجودنا ؟ ومامعنى المسيحية الوديعة التى فسرت لنا حياتنا هناك فى الجبال العارية المغسولة بأشعة الشمس وأضواء النجوم (٢) وقذفت بهم الغربة الحسية والفكرية إلى مهاوى الغربة الروحية فشعروا بفجوة هائلة بين أمانيهم الشفافة وبين واقعهم المتناحر المتشكك الحائر الذى يبحث عن الرى وهو فى قلب الأمواج !!!

ثالثاً : الطبيعة الشرقية :

ومن البواعث التى دفعت المهجريين إلى التأمل . طبيعتهم الشرقية التى تحمل كل ماللشرق من خصائص وسمات وصفات وراثية وسيكولوجية نمت وترعرعت مع البذرات الأولى للمكونات المختلفة لهؤلاء الأدباء .

والشرقيون يميلون إلى التأمل أكثر من الغربيين . وذلك لروحهم التى سرت فيها شرايين البداوة والشعور الفطرى الفسيح الذى يتجول فيما حوله ويسافر فى الآفاق يقرأ لوحة الوجود .

---

(١) نعيمة : المراحل ص ٦٧ – ٦٨ .

(٢) د / عبد الكريم الأشتر : النثر المهجرى ص ٦٤ .

لاتشغله الآلة ولاضجيجها .

ولهذا السبب احتفظ المهجريون بهذه الخاصية وظلوا شرقيين فطريا يقول : روستريفور هاملتون : " ومن الواضح وبلا شك أن الموقف الجمالي يظهر عند الشعوب البدائية " (١) .

ومما يقودنا فى أستسلام إلى منابع هذه الفطرة الشرقية بكاء القروى عند ترتيله للقرآن الكريم وقوله : " ويل لكم أيها المسلمون . أتذل أمة بين يديها هذا الكنز الثمين ، ويستعمر شعب يملك هذه القوة والعظمة "

" وچورج صيدح " يضفى هذه السمة على الأدب المهجرى وهو ماتمخضت عنه عبقرية هؤلاء الغرباء الشرقيين فيقول : " إن الأدب المهجرى طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقه . أما لبه فيحيا على إشعاع الشرق وقلبه يختلج بنسمات الصحراء " ويؤكد أن الموهبة الفطرية هى مفتاح السر فى تفوق أدب المهجر مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق .

ويفسر روستريفور هاملتون هذه الظاهرة عند الشرقيين بوصفين يمتاز بهما الشرقيون . ولهما الأثر الفعال في ظاهرة التأمل وهما :

أولاً : خلو موقفهم نسبيا من الاهتمام بالفعل .

ثانياً : الركون إلى القضاء والقدر .

ويجعل هاملتون الصفتين السابقتين أساسيتين فى الموقف السلبى من الحياة وقد سبق أن رددت عليه وقلت : إن المهجريين لم يكونوا سلبيين كلية . فهم مع تأملهم نراهم يخوضون غمار الحياة ويشتغلون بكل صنوف الأعمال من بيع وشراء وزراعة وغيرها ... والإيمان بالقضاء والقدر لايعنى إطلاقا السلبية فى الحياة وإنما التسليم في نهاية المطاف . بعد خوض التجربة وطول المعاناة ، والوصول إلى الأهداف ... وربما لايصل الإنسان ... وهنا يبرز الموقف الإيمانى بالقضاء والقدر ليحدث التوازن النفسى والاطمئنان الروحي فى حياة الإنسان وهما الثمرة المرجوة من رحلة التأمل .

وجبران فى حديقة النبى يتأمل علاقة الإنسان بالطبيعة حيث رمز لهذه العلاقة بالحديقة وكان فى هذا الرمز " مستعيراً أسلوب القدامى ، مستلهما روح الشرق ، مستنداً إلى عوامل

(١) هاملتون : الشعر والتأمل ص ١١٧ .

التطور التاريخى ، فى التعبير والتصور ، والتصوير جميعاً " (١) .

ويفسر أحد المفكرين الغربيين تفوق جبران فى تأملاته فى كتاب النبى فيقول :

" ولعله يرى بعينيه الشرقيتين مالا تتاح لنا رؤيته نحن أبناء الغرب ، ولاغرو فان معلمى الإنسانية يجيئون دائما من الشرق ! " (٢)

وقال آخر : " إن جبران قد اقترب من الغـــرب وعلى شفتيه ابتســـامة الشـــرق الجميلة ،يحمل عطية ثمينة فى صدره لكى يقدمها إلى الغرب . فقد جاء كالمسيح يطفح قلبه محبة "(٣) .

وفى عرض شائق يوضح د / ثروت عكاشة المراحل الفكرية التى مرت بها ثقافة الإنسان واتصل خلالها وجدانه ووسائل تعبيره بالطبيعة ، أو بالحديقة على وجه الخصوص ويقول : " كانت حديقة النبى التى أخرجها لنا جبران أثرا فنيا رقراقا يروى تلك الجذور العميقة التى تربط الإنسان بالطبيعة .

إن جبران صاحب الدم الشرقى ، والطبيعة الشرقية ، لم تكن به حاجة إلى أن يسعى إلى الشرق ، ليستعير منه الانفعال بالطبيعة لأن الشرق بروحه الفياض ، وطبيعته الخلابة ، كان حيا نابضا فى قلبه (٤) .

– والقروى يطرح عنه ثيابه قطعة قطعة وهو يطفر بين التلال هازجا ينفر السائمة ويقول : " وإذا طغى الجمال كما فى لبنان فجمع بين سمو الجبال ونضرة السفوح وترقرق الجداول ، وزرقة البحر والسماء . ردنى إلى خشوع يلصق جبينى بالتراب ، ويسكب من عينى وشفتى تسبيحة رطبة حارة " (٥) .

وهو فى ذلك يلتقى مع " جستاف بالر " الذى اشتهر بأسم منشد الطبيعة " وكان يخر راكعا عند رؤية الحقول اليانعة ، وكانت الدموع تملأ عينيه حينما يرى شجرة تفاح تزدهر أو وردة تتفتح " (٦) .

---

(١) جبران : حديقة النبى : المقدمة ص ١٠
(٢) جبران : النبى ترجمة انطونيوس بشير ص (٩ – ١٠)
(٣) السابق ص ١٠
(٤) جبران : حديقة النبى : المقدمة " ص ٤١
(٥) القروى : مقدمة ديوانه ص ٢٤ .
(٦) جبران : حديقة النبى " المقدمة " ص ٣٦ .

وأخذ الغرب ينظر إلى الشرق كما لو كان حديقة مترامية الأطراف .... حديقة غامضة مسحورة يكسوها ليل أزرق صافى الأديم ، يجعل الحياة فيها أكثر حلاوة ، والورود أزكى عبيراً والنجوم أقوى سحراً .. يتخلل ذلك السحر الفتان ، شدو العندليب وخرير مياه القنوات ، وتنهدات الجوارى .

وهكذا استبد سحر الشرق وسره وغموضه ، برجل الغرب المادى . وانعكس هذا كله على نتاج الشعراء وأهل الفنون ، فأخذوا يتغنون بالشرق هربا من مادية الغرب المتجهمة ومافيها من جفاف وفراغ روحى ، أو يقصدون الشرق كى يرتووا من ينبوع العلم والمعرفة .

ومما يتعلق بهذا الباعث هو مايكمن فى طبيعة الشرقيين غالبا من ميل إلي معالجة هموم الذات وإحباطاتها والتأمل فى عوامل شقائها ومحاولة التعزى بمظاهر الطبيعة . وهذا الإحساس ناشىء عن الفطرة النقية المؤمنة بقوة كبرى مسيطرة وتظهر هذه النغمة عند أبى ماضى أكثر من غيره فهو يعالج موقفه فى حياته من خلال منظورتفاؤلى واع بطبيعة العلاقات الإنسانية وفلسفة الواقع والتكيف معه يقول فى قصيدته : دودة وبلبل " (١) :

نظـــرت دودة تـــدب علـــى الأرض ... إلـــى بلبـــل يطيـــر ويَصْـــدَحْ
فمضـــت تشتكـــى إلـــى الـــورق الســـا ... قـــط فـــى الحقـــل أنهـــا لم تُجَنَّحْ
فـــأتت نمـــلة إليهـــا وقـــالـت ... اقنعـــى واسكتـــى فمـــا لك أصلَـــحْ
مـــاتمنيـــت إذْ تمنيـــت إلا ... أن تصيـــرى طيـــرا يصـــاد ويُذْبَحْ
فـــالـــزمى الأرض فَهْـــىَ أحنى على الدود ... وخلـــى الكـــلام فالصمـــت أرْبَحْ

والأسطورة الأزلية (٢) " من أبدع ماجاءت به قريحته فى هذا الاتجاه .

ودودة وبلبل " تصوير مكثف لفكرة الأسطورة الأزلية وصورة ذات لون آخر ... لفكرة جبران فى قصته " البنفسجة الطموح " .

وكذلك قصيدته : الغدير الطموح " (٣) تحمل الطابع نفسه والفلسفة ذاتها .

---

(١) إيليا أبو ماضى : تبر وتراب ص ١١٣ .
(٢) أنظر الخمائل ص ١٢٦ - ١٣٥ .
(٣) أنظر الجداول ص ٩١ .

رابعاً : الروح الدينية المتأصلة فى نفوسهم :

إن التأمل هو المؤشر الذى يشير إلى أرقى مدارك الإنسان عامة . بحيث لايصبح آلة فوتوغرافية تنقل الأشياء كما هى والدين يدفعنا دائما إلى الغوص فى الأعماق للوصول إلى جوهر الأشياء ...

والقرآن الكريم فى مواضع كثيرة يدعونا إلى التفكير فيما حولنا . وفى مظاهر الكون . وفى أنفسنا وفى تاريخ الأمم السابقة (١) .

وإذا كان التأمل من سمات أدباء المهجر فإن ذلك يرجع إلى روحهم الدينية العميقة المتصوفة الإيجابية . المسلمون منهم والمسيحيون .

ومحراب التأمل هو الكون والنفس وكل ماتحلم به من قيم ومابين حلمها وواقعها من تناقض وصراع . وكل ماينزع من ذات الإنسان فتيل الشر يمكن أن يكون موضوعا للتأمل .

وقضية العلاقة بين الدين والشعر أخذت جدلا كبيراً ... ووقر فى الأذهان أن البون شاسع بين الدين والشعر " والأدب بوجه عام " وذلك استنادا للمقولة المشهورة ، الشعر يكثر فى الشر ولايكثر فى الخير " .

واعتقد عامة الناس أن الدين يحرم الشعر وأن قائل الشعر آثم . ومن هذا المفهوم المخطىء جافي الفقهاء الأدباء المتصوفين الذين اتخذوا من قضية الدين أساسا لموقفهم الأدبى والشعرى ولم يبتذلوا شاعريتهم فى ساحات القصور وتحت أقدام الخلفاء وبين أيادى الغوانى ..

واستند القائلون بالفصل بين الدين والشعر إلى الآية الكريمة " والشعراء يتبعهم الغاوون " ولكن حينما نتأمل الآية بعمق نرى أنها استندت إلى دليلين فى الآيتين اللاحقتين لتبرير هذا الحكم :

((ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون))

((وأنهم يقولون مالا يفعلون)) .

---

(١) انظر مبحث : التأمل والشاعر العربى "

ثم تستثنى الآية التالية نوعيات قفزت خارج دائرة التخبط فى كل واد والضرب على كل وتر وعدم الالتزام بموقف معين وابْتعدت عن الزيف والرياء . ولجأت إلى الصدق الفنى والمطابقة بين القول والفعل ، وأحسب أن تقويم القرآن للموقف الصحيح للشعراء من أرقى ماوصلت إليه الأحكام النقدية فى العصر الحديث فالنظرية الإسلامية في النقد والأدب تقوم على الإيمان بما يحمله ذلك اللفظ من إشعاع قوى وإيحاء مركز . الإيمان بالله . وبالذات . وبالمجتمع ، وبالبيئة .. ثم العمل الصالح وليس القول فقط أو الاعتقاد الخالى من الفعل ، والعمل الذى يجمل الواقع ويصلح مابين الإنسان وكل مايتصل به فى حياته .

ولاشك أن هذا أقوم سبيل لتقويم الذات وعلاج أمراض النفس البشرية وكل عقد السلوك والتراكمات النفسية التى تصيب الإنسان .

وذكر الله من أساسيات هذه النظرية لأن الشاعر والأديب صاحب موقف وينتمى إلى عقيدة وأيديولوجية " والأدب الإسلامى يفقد أهم خصائصه إذا لم تكن العقيدة أحد أركانه الأساسية .

وانتصروا من بعد ما ظلموا " والدفاع عن النفس والثأر لها وهو ما يسمى بأدب الحماسة أو المقاومة أو التحريض ، أو الأدب الثورى .. كل المصطلحات السابقة تنطوى تحت قوله تعالى " وانتصروا من بعدما ظلموا .

فالدين . والدين الإسلامى بالذات لم يرفض الشعر أو الأدب وإنما وضع منهجا محددا لصورة الشعر القويم ومايمكن أن أسميه .. بالنظرية الإسلامية الأدبية والنقدية .. وهى تقوم على الدعائم التالية :

(أ) الإيمان (ب) العمل (ج) الالتزام العقائدى (د) المقاومة ورفض العدوان بكل صوره .

وفى النقد الغربى تنكر بعض النقاد للشعر وهاجموه : ومن هؤلاء النقاد " جوسن " وقد ألف كتابا لهذا الغرض أسماه " مدرسة سوء الاستعمال " " هاجم فيه الشعر هجوما عنيفا ووصفه بأنه مدمر للأخلاق وسلم إلى مملكة الشيطان . وهو يقول عن الشاعر : " إنه يقودك إلى العزف ، ومن العزف إلى اللعب ، ومن اللعب إلى المتعة ، ومن المتعة إلى الكسل ، ومن الكسل إلى

النوم ، من النوم إلى الإثم ، ومن الإثم إلى الموت ، ومن الموت إلى الشيطان " (١) .

وكان " جوسون " يعبر عن رأى مذهب جماعة دينية متطرفة من البروتستانت هى جماعة " المطهرين " وهى طائفة كانت تعادى الفنون عامة ، وتنظر إلى كل أنواع المتعة على أنها إثم .

وكان رد الفعل عنيفا على هذا الموقف الدينى المعادى للشعر .. فألف " سيدنى " كتابه " أعتذار عن الشعر " أو " دفاع عن الشعر " حيث ربط بين الشعر والأخلاق ونقض النظرية القائلة بأن الشعر تدمير للأخلاق .

وكذلك كتب " شيللى " كتاب : " دفاع عن الشعر " وربط بين الشعر والنظرية الأخلاقية .

وغالى " ماثيو أرنولد " فى تقديره للشعر ورسالته الأخلاقيه حتى أحله محل الدين نفسه . وذلك يرجع إلى أنه عاش فى عصر طغى فيه العلم التجريبى على كل شىء وهدد بتدمير العناصر الإنسانية والروحية لدى الجنس البشرى ، وقد كان طغيان العلم والصناعة مفزعا لكثير من المفكرين والأدباء المبدعين .

وقد رأى " ماثيو ارنولد " أن الخلاص الوحيد للانسانية من " ميكانيكية " العلم والصناعة إنما يكون بالرجوع إلى الشعر .. (٢) .

ود / رتشاردز " يؤمن بأن الشعر ينبغى أن يحل محل الدين وأن يسد حاجات الإنسان الروحية ومتطلبات العصر الجديد .

ولاشك أن هذه مبالغة بعيدة عن منطق القبول ودائرة الصواب . إلا أن ماثيو أرنولد لاتتبع دعوته من منطق التحرر أو الإلحاد وإنما يعد الشعر قبسا إلهيا داخلا فى صميم الدين فدعوته إلى الشعر هى فى جوهرها دعوة إلى الدين بمنطقه الصحيح البعيد عن الطقوس المزيفة التى شوهت الدين المسيحى .

ويرد روستريفور هاملتون على د/ رتشاردز متحدثا عن مطلبه القائل بإحلال الشعر محل الدين نفسه يقول : " إن هذا مطلب فيه قسط وافر من التغطرس " .

وعندما علل : هاملتون اعتراضه هذا وحكمه على : رتشاردز " بالتغطرس وقع فى خطأ

---

(١) د / محمود الربيعى : فى نقد الشعر ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

كبير .. وأتى بنتيجة فاسدة .. حينما قال : (ماكنا لنحتج علي وصفه للدين بأنه خرافة مثل الشعر لو كان قصده مقصورا على القول بأن الدين مثل الشعر يمكن أعتباره تعبيراً عن طبيعة الإنسان وحاجاته ، وبهذا المعنى يمكن أعتباره خرافة " .

والحقيقة الناصعة دائماً تقول لنا : إن الدين ليس خرافة ولكنه حقيقة سماوية عليا إذا انكرناه فإنما ننكر حقيقة الخلق وجوهر الخالق . ونغفل عن الموجه لهذا العالم الذى تغنينا أداته الناطقة بوجود المبدع لهذا الكون عن الإتيان بالبراهين النظرية التي لاتقنع من سيطرت على أفكارهم غشاوةُ الباطل واقتحمت نفوسهم تياراتُ الجحود .

ويقارن : " هاملتون " بين التأمل الشعرى والتأمل الدينى مفضلا التأمل الشعرى بحجة أنه غاية فى ذاته فيقول : وليس التأمل الدينى غاية كاملة فى ذاته كما هى الحال فى التأمل الشعرى . بل هو رؤية إنسان مهما كان غرضها تفرض قداسته على المتعبد إحساسا بما فى هذا المتعبد من نقص وخطيئة ، إنسان هو أسمى مثل للمحبة فى ميدان الفعل . إنسان يوفر لناالعناية ويشد من أزرنا ولكنه لايقدم لنا تحريرا أكيدا من الصراع .

وهكذا فالتأمل هنا يؤدى إلى الفعل من عدة طرق .

وعلى الرغم من أنه تصحبه الغبطة والهدوء . فإنه يؤدى بنا إلى هذه الصيحة التى لايغمرها الصمت أبدا وهى :

« ياإلهى ماذا على أن أصنع لكى أنقذ روحى » ؟؟

ولكن التجربة التأملية النهائية للشعر لاتقدم مثل هذا الدافع بل إنها فى عصر بائس ، ترفع أمامنا مرآة نرى فيها خيبة آمالنا وتفاهتنا ، وحيرتنا ، وقلقنا بحيث إننا قد ينتهى بنا الأمر إلى قبول الأوضاع الماثلة ، وبمقدروها أيضا أن تجعل السأم ذاته من الأشياء الجديرة بالرؤية ، بحيث إننا نصبح فى نظرنا نحن حالات مرضية طريفة ، وأن مجرد التعرف على مرضنا يوفر لنا راحة البال وقد يدفعنا بعيداً عن الطبيب (١) والمقارنة السابقة لها ملتون بين التأمل الدينى والتأمل الشعرى ترجع إلى عقيدته المسيحية وتعاليمها وميراثها العقائدى الذى ترسب فى أعماق أدباء الغرب .

فمنهم من ثار على هذه الرواسب وهاجمها ، ومنهم من اتخذها مادة لفنه وأدبه بصورة

(١) هاملتون : الشعر والتأمل ص ٢٢٣ .

عصرية .

وقد دفع المهجريين إلى التأمل العميق تأثرهم بالروحانية المسيحية والواقعية الإسلامية بما تحمل من تفهم حقيقى لحاجات الإنسان وحلول مريحة لمشاكله وهمومه .

فنعيمه يرى أن الانجيل نموذج أدبى رائع ، والمسيح هو الأديب المثالى فى نظره ، وشهد الذين زاروا المهجر باحترام هؤلاء الأدباء للثقافة الإسلامية ، واعتزازهم بها لأنها ثقافة ذات قيم إنسانية عامة .

والقروى يعترف بهذا قائلا : " لم تكن لدى فكرة سوية عن الرسول العربى ولاقرأت كتابه وحديثه حتى آتانى الله فضله على يد هذه الآنسة : " نظيرة زين الدين " تكرمت على سنة ١٩٢٧ بكتابها : السفور والحجاب . فأماطت عن بصيرتى حجابا من الجهل كثيفا وحلقت بى إلى سماء من تراثنا الروحى لم تكن خطرت لى على بال . وأى أديب يهيم بالحكمة وساحر البيان لايخر ساجداً للحديث الشريف ومعجز القرآن " (١) .

– والروح الدينية التى تمتع بها هؤلاء المهاجرون مع بعدهم عن التعصب ترجع بهم إلى النشأة الأولى ، وطريقة التعليم .. فقد كان أقرب مثال لطريقة التعليم فى القرى اللبنانية فى أواخر القرن التاسع عشر هو نظام الكتاتيب الذى كان شائعا فى الآونة نفسها وفيما بعدها فى القرية المصرية . فقد كان بعض صبيان القرية يجتمعون على" الخورى " فى ساحة الكنيسة ، وتحت سنديانة قديمة يلقنهم مبادىء القراءة والكتابة . ثم يقرئهم بعض آيات الإنجيل ويقص عليهم الحكايات والأساطير الدينية التى توراثها المسيحيون فى كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد ..

وقد كان للعقيدة الدينية فى الشام منذ أكثر من نصف قرن شأنها الكبيرفى توجيه مقدرات الفرد ، وصياغة شخصيته ، واختيار ألوان ثقافته .

فليس غريباً إذن أن ينشأ هؤلاء الأدباء نشأة مسيحية يكون الكتاب المقدس معها هو الحقيقة الأولى فى حياتهم .

فإذا قابلتهم تجربة المهاجرة ، وأحسوا بالحاجة إلى أن ينظروا في الحياة فعلوا ذلك على ضوء ماتعلموه من حقائق هذا الكتاب .

(١) القروى : مقدمة الجزء الأول من ديوانه ص ٣٧ .

وقد كان غاية ماستطاعوه أن يجعلوا من بعض الحقائق رموزا ، وأن يصلوا بين الإنجيل وبين الثقافات الدينية الشرقية التى يمكن أن تعد منابع أو أصولا لحقائق الإنجيل الكبير " (١) .

وحينما نتأمل آثارهم الأدبية الشعرية وغيرها نجد هذا الأثر واضحا فقد استرجعوا فى مهاجرهم كثيراً من ذكريات الطفولة وهم يهرعون إلى الكنائس فى الأعياد ، وفى أيام الآحاد ، وفى مناسبات التعميد والزواج وغيرها من المناسبات التى تتصل بالكنيسة من قريب أو من بعيد وقصيدة " الأجراس " لميخائيل نعيمة تجسيد لهذه النتيجة . فالأجراس هى المظهر الإعلامى للشعائر المسيحية واتخذ نعيمة فى هذه القصيدة لازمة له فى نهاية كل رباعية : دن . دن ! دن . دن ! .

ونلاحظ أنه فى الرباعيات الأولى الأخيرة ، لم يلتزم بهذا الصدى وجعله فى قلب القصيدة إيحاء بأن هذه النغمات تنبع من أعماق العقيدة المسيحية .

والقصيدة تتسم بالوحدة الموضوعية . والعنصر الدرامى يكون النسيج العام لها والشاعر يحلق فى آفاق البهجة متأثرا بالطقوس المسيحية فى احتفالات أعياد الميلاد ولكنه فى نهاية القصيدة يأتيه شبح الشك وهو خيال من نار فإذا بالنغمات تخفت قليلا .. وإذا الزهر ينكس تيجانه والريح تخنق ألحان العود فتخنق الأجراس ويسكت صوتها البهيج وتضطرب سكينته ويحتجب عنه الغاب والرفاق ويعود إليه الشك وأوتار قلبه تتقطع .. وإذا بالألحان الشجية ترتد إلى نغم لايطرب له أحد . وقد يكون هذا الشعور ثورة مكبوتة من نعيمة على مسلمات المسيحية وطقوسها التى بعدت عن جوهرها الصافى ، وأن بهجته كانت حلما استرجع به عهد صباه فى صنين فتعزى به ونسى قليلا واقعه المرير وذلك التفسير الأقرب إلى الواقع لأنه بدأ القصيدة وختمها بالبداية نفسها .

وتدل القصيدة على أن شبح العقيدة المسيحية المتمثل فى الأجراس كان يطارده حتى فى وقت هروبه منه إلى الغاب : يقول :

---

(١) د / عبد الكريم الأشتر – النثر المهجرى ص ٢٩ .

هـــوذا قـــد أقبـــل أتـــرابى

أهـــلا ، أهـــلا بأصيحـــابى !

النـــاس تسيـــر إلـــى القـداس

ونحـــن نكـــر إلـــى الغـاب

دن . دن ! دن . دن !

أغصـــان الغـــاب تلاعبنـــا

وهـــوان الغـــاب يداعبنـــا

وصخـــور الـــوادى تدعـــونا

وصـــدى الأجـــراس يعاتبنـــا

دن . دن ! دن . دن ! (١)

ونجد فى رباعيات إلياس فرحات وتأملاته الكثير من التأثر بالتعاليم المسيحة وحكايات التوراة والإنجيل مما يوحى بتغلغل هذه التعاليم فى نفسه وتأصلها .

– ومنهم من تأثر بالثقافة الإسلامية وظهر هذا التأثر فى شعره مثل القروى ، ورياض المعلوف ومحبوب الشرتونى .. وأحمد زكى أبو شادى وإن كنت لا أميل إلى حسبانه من الأدباء الذين كان لتجربة الهجرة أثر كبير فى تكوين عقليتهم . وقد أصدر ديوانه " من السماء " وذلك يفسر اتجاهه الروحى لأنه أراد الهروب إلى عالم هادىء نقى وأمين .

يقول :

مـــاعشقـــت السمـــاء إلا هـــروبـــا مـــن حيـــاة تضـــج بـــالآلام

أنـــت من أنت رحمـــة بالبـــرايـــا وهُمُّـــو مَـــنْ همـــو بهـــذا الخصـام

الدمـــاء التـــى أباحـــوا دمـــائى والســـلام الـــذى أراقـــوا سلامى

وتوجه فى ختام ديوانه " إلى نبى المحبة والسلام " عيسى " حيث أتخذ من أسمه الطاهر عنوان قصيدة أختتم به ديوانه أو كاد ثم عرج إلى السماء مرة أخرى فى آخر قصيدة

---

(١) ميخائيل نعيمة : همس الجفون : صدى الأجراس ص ٤٠ – ٤٥ .

بالديوان جعل عنوانها " الصعود " (١) .

- ورياض المعلوف يعترف بتأثره بالثقافة الإسلامية ، وشارك فى المناسبات الدينية الإسلامية يقول من رسالة إلىَّ « وكان من دواعى غبطتى وفخرى أنه وضع الحجر الأساسى لجامع البرازيل بسان باولو سنة ١٩٤٥ م وأنا فيها حيث دعيت إلى الحفلة وألقيت قصيدتى - وَحّد الله ... وعدتُ وألقيتها فى جامع بلدة جب جنين البقاع سنة ١٩٦٨ م وكان من الخطباء معنا سماحة الشيخ أبو عبية فطرب للقصيدة وقام وحيانى بكلمات ثناء وإطراء وتمداح بالقصيدة .

وهذه رسالة شكر من لجنة مسجد البرازيل فى ٣ آذار سنة ١٩٤٥ م سان باولو بالبرازيل .« إن الجمعية الخيرية الإسلامية لتسجل لكم الثناء العاطر على أدبكم الجم ، والرجاء موافاتنا بنسخة من قصيدتكم البليغة التى ألقيتموها فى هذا الاحتفال الجليل بذكرى سيد العرب محمد ابن عبد الله » ..

إذن هذا التزاوج الفكرى مابين الشرق والغرب وتشابك الحضارات هذه كان لها التأثير الفعلى على إنتاجى ولربما كان فيها الحافز الدائم والأنطلاقة المباركة للتأليف والأستيحاء والإلهام " (٢) .

يقول رياض فى قصيدته وَحّد الله " موضحاً الإخاء الروحى بين محمد والمسيح :

يارســـول الأنـام أنـــتَ وعـــيسى ... خيـــر من يُصْطَفى ويُرْجَـــى ويُقْصـــدْ
شـرقنا بأسـمٍ بعيـدك زَهـــــوا ... شـــرقنـــا كلـــه بعيـــدك عيـــدْ
أينمـــا ســـرت ركـــع لصـــلاة ... ودعـــاء كأنمـــا الشـــرق معبـــد
يـــالتلك المـــآذن الشـــم تعلـــو ... ناطحـــات السحـــاب فيهـــا تُمَجِّدْ
بوركـــت مـــكة وبـــورك يـــوم ... أنـــت فيـــه ولـــدت للـــدين فرقَدْ

(١) أنظر : الأديب ابريل ١٩٧٨ - مقالة : مع أبى شادى فى ديوانه من السماء (ص ١١ - ١٣) .
(٢) من رسالة أرسلها الى الشاعر فى ٢٠ من يناير سنة ١٩٧٨ م .

وكفى العرب فخرهم بنبى عبقرى هو النبى محمدْ (١)

وفى قصيدة أخرى يقول وما أصدق شعوره حينما يخاطب المصطفى عليه السلام :

علم الدين فى يديك تعالى فى الذرى وهو قبلة الأعلام
كل قرآنك الشريف عظات طاب تجويدها مع الأنغام
قدت شعبا إلى تقى وصلاح هذه ميزة الرجال العظام
فاتخذت الكلام عنك بليغا إن شعرى من وحيك المتسامى
وإذا ماأجدت فيك قصيدى عاد فضلى إليك فى إلهامى (٢)

ومحبوب الشرتونى يقول :

ومحمد بطل البرية كلها هو للأعارب أجمعين إمام (٣)

ونسيب عريضه حينما يضل فى بيداء الحياة ، ويضنيه الطريق الطويل يفر إلى الصلاة ليجد راحته ، وبداية طريقه ، ويناجى ربه فى خشوع :

أيا من سناه اختفى وراء حدود البشر
نسيتك يوم الصفا فلا تنسنى فى الكدر

* *

مراعيك خضر المنى هى المشتهى سيدى
وجسمى دهاه العنا حنانيك خذ بيدى (٤)

وهذا الاتجاه الصافى إلى الله فى أشد ساعات الحرج والحلك هو الذى يفيض على أغلب الشعر العربى فى المهجر روحا من الصفاء والشفافية التى تصعد بالقارىء من أطباق

(١) رياض معلوف : غمائم الخريف ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٠ - ١١١ .
(٣) محبوب الشرتونى ديوانه ص ٨٨ .
(٤) ديوان الأرواح الحائرة نقلا عن الشعر العربى فى المهجر ص ٤٧ .

الثرى إلى رحاب السماوات " (١)

وهو من أكبر الدوافع التى جعلتهم يتأملون كل ماتقع عليه حواسهم وما تخفق به مشاعرهم ولايكتفون بالنظرة السطحية .

- إنهم صيادون مهرة . لاينسيهم بريق الأصداف سحر اللآلىء ، ولا يغريهم الأمن على الشاطىء فيخافون ارتياد مجاهل الأعماق للعثور على كنوز الحقيقة .

خامساً : - الرؤية المأساوية للحياة :

إن كثيرا من العوامل النفسية التى تدفع الإنسان إلى النتاج الفنى بوجه عام والأدبى بوجه خاص مرده إلى رغبة الإنسان فى التعبير عن الظروف المحيطة به وتصوير آلام النفس وتحليلها .

ولاشك أن المنظور الذى شهد من خلاله هؤلاء الأدباء حياتهم منظور مأساوى يحتاج إلى استبطان ذاتى للكشف عن جوهر ماعانوه من صراع وآلام . والحزن كان قدرهم الذى فرضته الظروف عليهم وسأكتفى بنموذجين هما : [جبران ، وفوزى المعلوف] .

والحزن قاسم مشترك بينهما لون نظرتهما للحياة وألمهما الرائع الجليل من الفن وإن كانت دواعيه تختلف بينهما .

فهى عند جبران قصة من المعاناة المريرة التى تنسج فصولها من الفقر والتشرد وموت الأهل ، والمرض الذى كاد يفتك بهم جميعا .

فأخته سلطانة ماتت وهو فى طريقه إليها في باريس .

ولم تمض العشرة شهور حتى يختطف الموت أخاه بطرس .

وبينما يلملم جبران شتات نفسه ، ويحاول وقف نزيف الألم . إذا بالجرح يتفتح من جميع الجوانب ، وتزداد نفسه تمزقا وتبعثرا ويختطف الموت أمه الحنون الرءوم .

والظاهر أنَّ الداء الذى كان يشكو منه جبران وهو السل كان متفشيا فى الأسرة كلها . ولعل هذا الداء نفسه هو الذى ساعد على تكوين مزاجه الأسود فإن له أثرا فى النفس معروفا .

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : الشعر العربى في المهجر ص ٤٧ .

هو مزيج من الحزن والرقة معا . ولاعجب بعد هذا أن يكون للموت ومايثيره من ألم فى النفوس وجروح في القلوب . وخاصة موت الأهل والأعزاء أثر وأى أثر فى معظم ماسطر جبران من شعر ونثر وإن لم يكن فيه كله .

وكذلك فى كل ماخطته ريشته من رسوم وأشكال حتى إنه ليقول فى إحدى رسوماته وقد دعاها فوارة الألم : وما الحياة كلها إلا فوارة من الألم " .

وذلك حين لاحظت صديقته إكثاره من رموز الموت والألم المجردين فأجاب لأن الموت والألم كانا نصيبى الأكبر من الحياة حتى اليوم .

فبين الرابع من نيسان عام ١٩٠٢ والثامن والعشرين من حزيران عام ١٩٠٣ فقدت أختى الصغرى ثم أخى الأكبر ثم أمى . وكلهم أعز ما فى الكون يا " مس " هاسكل " (١)

وكل هذا قد أدى بجبران إلى إطالة التأمل وكثرة التفكير وصبغ حياته بصبغة روحية لم يتخلص منها بعد ذلك وعناوين كتبه ومقالاته وقصصه تنضح بالألم وتشير إلى ماينطوى عليه داخله من جرح عميق . فالعواطف والأرواح المتمردة ، وصراخ القبور ، والأجنحة المتكسرة ، والمجنون ، وحفار القبور ، وأيها الليل ... كلها عناوين تخفى فى طياتها أشلاء نفس مفعمة بالمأساة واستطاعت أن تنتصر على دواعى القنوط فترجمت حياتها إلى أعمال فنية خالدة هى صورة لتلك النفس لم تقترب منها الألوان المزيفة التى تشوه وجهها الحقيقى .

وأما دواعى الحزن عند فوزى المعلوف فهى تمثل شرنقة كثيفة الأوتار . تنطوى على دفين غال هو " الحب الهارب منه دائماً " .

فمأساة حياته فشله فى هذا الميدان مما جعل الدنيا تضيق فى عينيه فكأنه ينظر لها من ثقب إبره .

وعندما يأتى الموت يقول له قف . لأن الحب آت .

وتمثل هذه النظرة نافذة خفية ندلف منها إلى عالم فوزى الداخلى المحطم .. لكنه يقبل البناء مرة أخرى ، فالأمل فى نفسه ، وإن كان إحساسه بالعبودية يسد عليه كل طريق .

وأحب أن ألفت النظر إلى أن الظروف الخارجية هى التى تحكمت فى تكوين مزاج

(١) ميخائيل نعيمة : جبران ص ٧٤ .

جبران ولونت داخله بظلال قاتمة .

والأمر على العكس تماما عند فوزى المعلوف فهو كما أخبرنى شقيقه الشاعر رياض المعلوف من أسرة عريقة . لها من الثراء حظ وافر . ومن النبوغ العلمى قسط كبير يقول رياض المعلوف :

« ولاشك أن شاعريتنا نحن الأخوة الثلاثة مع العديد من شعراء آل المعلوف عن طريق جدودنا أمراء آل غسان الذين كانوا يهتمون بالشعر حتى إن حسان بن ثابت كان يلقى قصائده فى مديح جدودنا الغساسنة فيجزونه إكراما لشعره بأكياس الذهب .

وأشرتُ إلى ذلك فى إحدى قصائدى : " نبى العرب "

فقريضـــى ورثتـــهُ عـــن جـــدودى آل غســـان خيـــرة الأعـــلام
فجـــدودى العظـــام أشـــرف قوم أفعمـــونى مجْـــدًا علـــى الأيـام

ويجوز أن يكون للتصوف المسيحى والإسلامى أثره فى مؤلفاتنا نحن الثلاثة " فوزى وشفيق ورياض " لأننا ربينا بين المطبوعات والمخطوطات فى مكتبة عيسى أسكندر المعلوف وأولاده الخاصة والتى تضم العشرين ألفا من المطبوعات النادرة ، وألفا من المخطوطات النفيسة المموهة بطراز الذهب ، والوثائق القيمة التى هى فى غاية الندرة .

ووالدنا العظيم العلامة المجمعى : مؤسس وعضو مجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وبيروت والبرازيل . وفى هذا الجو الثقافى الرائع .. وعلاوة عن ذلك أخوالنا الخمسة شعراء ومنهم الشاعر ميشال المعلوف أول رئيس للعصبة الأندلسية ومؤسسها مع مجلتها .

وهكذا ترعرعنا بين هذه النفائس الفكرية والشعرية ، والروحية ، فعشنا هكذا لناعين على الإنجيل . وعين على القرآن الكريم !!.

فجمعنا مابين الحضارتين العظيمتين !! .. وصوفيتهما وروحانيتهما ، وعزتهما " (١) .

وبرغم هذا المناخ الصحى اعتلت نفس فوزى المعلوف ، والعلة نبعت من داخله وقد سئم

(١) من رسالة آرسلها الشاعر رياض المعلوف إلى فى ١٤ / ١٢ / ١٧٧ م زحلة لبنان

العالم الأراضى وامتطى بساط الريح .. وكانت النهاية أن أشعل فى نفسه : شعلة العذاب .

– وقد وجهتُ سؤالا إلى الأستاذ / رياض المعلوف خاصا بهذه الملحمة .« ماهو السر المختبىء خلف شعلة العذاب الذى أبحر مع بساط الريح خارج الغلاف الأرضى يسبح فى الملكوت مع ريح فوزى الأثيرية » ؟

فأجاب فى تحفظ قائلا :

– وشعلة العذاب عند أخى فوزى المعلوف هى شعلة الحب السماوية المتصلة بالله ! .. والروح المجنحة التى حملته على بساط الريح من الأرض إلى الأثير يسبح فيه . بين الغيوم .. والنجوم " (١) .

يقول فوزى فى شعلة العذاب " (٢) فى النشيد الثانى فى هيكل الذكرى :

طُـويَتْ بسمـة لينشـر دمْـعْ وخَبَـتْ بهجـة ليلمـع جُـرحُ
هـو سفـر قلبتـه فـإذا بـى وفـؤادى فـى دفتيـه يسـحُّ
يـافـؤادى وأنـت منـى كلـى ليسـت حكمـى يومـا عليك يَصِحُّ
أنـت مهـد المنـى وهـذى بقـايا هـا أكبُّـت عليـك تغفو وتصحو

وكان آخر مانظمه الشاعر باعتراف شقيقه رياض المعلوف هذين البيتين وهما بداية النشيد السابع :

مرحبـا بالعـذاب يلتهـم العـيش التهـاما وينهـش القلـب نهشـا
مشبعـا نهمـةً إلـى الـدَّمِ حَرَّى ناقعـا غلَّـة إلـى الدَّمع عَطْشى

ويقول رياض المعلوف

"وتبا للموت الذى حرم الشعر والملحمة من إكمال هذا النشيد الذى فيه شىء من التشاؤم الذى يدل على إحساس عفوى للشاعر بدنو أجله . ففوزى هو رومنسى المنزع ، يعانى الوجود

(١) من رسالة أرسلها الشاعر رياض المعلوف إلى فى ٢٧ / ١٠ / ١٩٧٧ م زحلة – لبنان "
(٢) مخطوطة وافانى بها شقيقه الشاعر رياض المعلوف " .

بالتشاؤم والقنوط والسوداء ، إلا أن أنفعاله لايعبر إلى مجاز الخيال ويحل فيه ويتحد به ، ليستحيل إلى حالة نفسية متجسده فى أحوال حسية مستعارة من العالم الخارجى دون أن تتحتم فيها الدلالة الواقعية الملازمة لها .

تلك الرؤيا هى وحدها الشعر لأنها مستمدة من الرمز الذى لايعادل ولايقابل ولايفترض ولايعترض ، لايسقط ولايضيف وإنما هو كشف فعلى للحقيقة واستحضار لها بذاتها (١) .

ونتاج الشاعر إفراز لما فى داخله ولو تأملنا معجم فوزى المعلوف لرأيناه يمثل الرؤية المأساوية للحياة تمثيلا لايحيد عن الصدق ففى شعره تشيع المصطلحات والألفاظ الآتية: العودُ المقطَّعُ الأوتار ، والكأس المليئة بالحنظل ، والرسوم الضائعة على الشاطىء والخريف . والحتوف ، العذاب ، اللوعة - الفرار - البؤس . الشوك ، الردى - الجرح . الأوجاع ، ولاريب فى أن نفسه المنطوية على ألم كبير انطلقت لتعبر عن ذلك الألم من خلال منظور المأساة التى عاشها ولم يعبر بغيرما فى نفسه من تأملات حائرة إزاء معميات الوجود الغامض .

سادساً : التأثر بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين والفلاسفة المسلمين :

- يختلف الباحثون حول قضية تأثر المهجريين بالمتصوفين والفلاسفة الإسلاميين . فمنهم من ينكر تأثرهم وحجته أنهم لم يطلعوا على المصادر الأولى لهذه الثقافة وذلك لعقيدتهم المسيحية التى حالت بينهم وبين التعمق فى هذا الفكر واتجهوا إلى كتب الديانات الهندية القديمة وتأثروا بها فى اتجاهاتهم الفكرية (٢) .

وأغلب الباحثين يثبت تأثرهم بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين المسلمين . والنصوص هى الدليل القوى والفيصل فى هذه القضية ، وكذلك الاعترافات الشخصية لها دورلا ينكر فى حسم أمثال هذه الأمور .

وكما يقول الدكتور مندور هؤلاء الأدباء " يصدرون عن قلب فيه لهفة إلى الله . ولو أننى قلت إنهم متصوفون لما عدوت الحق . فالتصوف ليس إلا وقدة فى الإحساس ، كل شعور قوى مرتبط بالله تصوف مهما كان موضوع ذلك الشعور .

ولهذا نرى الناس يقتتلون فى غير مقتل حول تصوف شاعر كالخيام : أمادى هو أم

(١) ايليا الحاوى : فوزي المعلوف شاعر البعد والوجد ص ٩٩ .
(٢) أنظر : النثر المهجرى د / عبد الكريم الأشتر.

روحى ؟ وهل خمره خمر الدنان أم خمر الروح ؟ والأمر بعد سواء – الخيام روح حائرة . وكذلك الأمر عند شعراء المهجر " (١) .

– وحاولت أن أتتبع تأثرهم بالفكر الفلسفى والخيال الصوفى فوجدت أنهم تأثروا بأبى العلاء وابن سينا والغزالى . وتأثروا بالخيام وابن الفارض والحلاج وابن عربى .. وكان لذلك التأثر باعث قوى على اتجاههم التأملى لأن التأثر نافذة تتيح للفكر استشراف آفاق جديدة ومعايشة تجارب جديدة .

–١–

التأثر بأبى العلاء المعرّى

أما أبو العلاء فقد تأثر به : إيليا أبو ماضى وفوزي المعلوف وأمين الريحانى

– إيليا أبو ماضى :

ومن الغريب أننا لانلحظ عند أبى ماضى تأثرا بأبى العلاء فى شعره المبكر . حين كان ينهج طريقة التقليد ويسير فيها متعمدا . ويظهر هذا واضحا فى ديوانه " تذكار الماضى " أما حين نبذ طرق القدماء وابتعد عن دروبهم نراه يتخذ من أبى العلاء هاديا يهديه فى رثاء أبيه . وذلك حين بدأت فترة نضوجه الشعرى ونحا منحى التفكير والتأمل والفلسفة فى شعره تلك النزعة التى أورثته شكه ولا أدريته اللذين عرف بهما .

وكانت تلمذته الشعرية فى هذا العهد لشعراء العرب الكبار ، بخاصة " المتنبى " وأبى العلاء " (٢) .

" وكان من جملة ماطلع عليه من شعره هذه القصيدة النونية التى رثى بها المعرى أباه .

وفى قصيدة أبى ماضى " التى يرثى فيها أباه " تقليد واضح لقصيدة المعرى لافى الوزن والقافية فحسب بل فى العناصر والأفكار أيضاً .

فأبو العلاء يبدأ قصيدته بأبيات ثلاثة يصور فيها مدى حزنه وتألمه لذلك المصاب الجلل حتى لقد أضحى بعيدا كل البعد عن مظاهر الابتسام .

(١) د / محمد مندور : فى الميزان الجديد ص ٩٣ .
(٢) صلاح عبد الصبور / تذييل ديوان تذكار الماضى ص ٢٦٣ .

وأبو ماضى يأخذ فكرة تصوير الحزن ومايحدثه فى النفس من تشاؤم ونظرة سوداء فهى لاترى إلا ماهو قبيح ومؤلم يقول :

أبى خاننى فيك الردى فتقوضت ... مقاصير أحلامى كبيت من التبن
وكانت رياضى حاليات ضواحكا ... فأقوت وعفى زهرها الجزع المضنى
وكانت دنانى بالسرور مليئة ... فطاحت يد عمياء بالخمر والدن
فليس سوى طعم المنية فى فمى ... وليس سوى صوت النوادب فى أذنى

وعند كلا الشاعرين كلامٌ عن أبيه الميت وإسباغ صفات الوقار والكرم والفصاحة عليه ، وحديث عن الحياة والموت وفلسفتها وأسرارها .

وتقليد أبى ماضى للمعرى ظاهر فى بعض أبياته إلى جانب ظهوره فى الأفكار الرئيسة لقصيدته . فهو قد أخذ بيتى المعرى فى الموت :

إذا غيب المرء استسر حديثه ... ولم يخبر الأفكار عنه بمايغنى
تضل العقول الهبزريات رشدها ... ولم يسلم الرأى القوى من الأفن

فنظم فى معناهما أبياتا ثلاثة فى بساطة أكثر ومن غير تعقيد .

وزنت بسر الموت فلسفة الورى ... فشالت وكانت جعجعات بلا طحن
فأصدق أهل الأرض معرفة به ... كأكثرهم جهلا يرجم بالظن
فذا مثل هذا حائر اللب عنده ... وذاك كهذا ليس منه على أمَن(١)

والقصيدة السابقة من الشعر التقليدى شكلا ومضمونا عند أبى ماضى وأبى العلاء فهى لاتمثل اتجاه كل منهما حيث قال أبو العلاء رثاءه وهو فى طور التقليد ثم قلده أبو ماضى فكانت قصيدته تقليد التقليد :

أما التأثر الحقيقى فيظهر فى حيرة أبى ماضى أمام طلاسم الوجود والنفس والروح ففى هذه الظواهر السابقة يتوهج شرار الاحتكاك وتتولد نيران التأثر .

(١) د / نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وفوزى المعلوف :

يتأثر بأبى العلاء ويمتزج ذلك التأثر بمنهج حياته التشاؤمى وقد وجهت سؤالا إلى الشاعر رياض المعلوف وهو :

هل للتصوف المسيحى والإسلامى أثره فى نتاجكم الشعرى " آل المعلوف "

فأجاب : فوزي تأثر بالمعرى وعمر بن أبى ربيعة . ومن الفرنجة بشاتوبريان " الفرنسى "وروايته : أبن حامد أو سقوط غرناطة لفوزى . تلاقى فيها مع أبن سراج القرطبى ومع شاتوبريان ، وألبير سامان ، ولامرتين " (١)

يقول : فوزي المعلوف معبرا عن فلسفة الألم ومقلدا أبا العلاء :

ألـــم كلهـــا الحيـــاة فلا تضحـــك ثـــغـــرا إلا لتبكـــى عيـــونا

ويقول متأثرا أيضا برفض أبى العلاء لكل قيمة حلوة فى الكون لأنها برق خاطف ناعيا على المبتسمين أبتساماتهم وعلى الباكين بكاءهم ثم يحكى مأساة الحياة من خلال قصة الميلاد والحياة والموت فى النشيد الثانى من شعلة العذاب :

يـــولد الطفـــل للعـــذاب وهـــذى سنـــة الدهـــر مـــا وقى الطفل شَرَّهْ
بيـــن أوجـــاع أمـــه دخـــل المهـــد وبـــين الأوجـــاع يدخـــل قبـــره
بشـــرت بالجنـــين وهـــو نـــذير لابشيـــر . فالســـوء يملأ عمـــره
أن مـــن جـــاء مهـــده مكـــرها يمضى إلـــى لحـــده غـــدا وهـــو مـــكْرَهْ
مـــلأ الشـــوك روض عيشـــك فانـــزع كـــل أشـــواكه لتبلـــغ زَهْـــرَهْ
تعـــب كلهـــا الحيـــاة وهـــذا كـــل ماقـــال فيلســـوف المعـــرَّهْ (٢)

---

(١) من رسالة أرسلها إلىَّ فى ١٤ / ١٢ / ١٩٧٧ .
(٢) فوزى المعلوف : شعلة العذاب (ص٢) مخطوطة بخط شقيقه رياض .

وأمين الريحانى :

يعترف بتأثره بأبى العلاء فيقول : " جمعنى الله بأبى العلاء بعد أن هدانى بواسطة الفيلسوف الإنجليزى " كارليل " إلى الرسول العربى قرأت اللزوميات معجبا بها ثم قرأتها مترنما ورحت أفاضل بأنى من الأمة التى نبغ فيها هذا الشاعر الحر الجسور الحكيم(١) .

– ويشيد ميخائيل نعيمة بأبى العلاء بدافع من إعجابه به وبفنه وأدبه فيقول " إن أبا العلاء جمع في كثير من قصائده ومقاطعه بين دقة البيان وجمال التشبيه ورنة الوقع وصحة الفكر " (٢) .

– أما ابن سينا :

فيتأثر به تأثرا مباشرا : نسيب عريضة وأبو ماضى .. وينوه بفضله وعمق فكره جبرانُ ويشيد بقصيدته فى النفس .

وقد تأثر : نسيب عريضه بابن سينا فى فلسفة النفس : وهى فلسفة لها عند ابن سينا أساسيات ومبادىء محددة معروفة إلا أنها عند نسيب غير محددة الأبعاد فهو يخلط بين القلب والروح والنفس والعقل ... وحديثه عن النفس حديث الشعر وليس تحليل الفيلسوف .

ويلتقى نسيب مع ابن سينا فى علاقة النفس بالجسد فهى علاقة جوار عرضى لاعلاقة اتحاد ذاتى ، إنها تتألم فى الجسد ، وتعلم أنها ستفارقه وقد وصلت إليه فى كره ، وإذا فارقته تألمت لفراقه ، الجسد يمنعها من بلوغ ماتريد من الكمال ، فكأنه سجن كثيف ، أو قفص ضيق يصد النفس عن الأوج الفسيح ، وكأن النفس لاتألف مجاورة الجسد إلا بحكم الاعتياد . فإذا فارقت الحمى ودنت من الفضاء الأوسع واتصلت بالجواهر العلوية سجعت ، وغردت لانكشاف الغطاء عنها .

قال ابن سينا :

حتى إذا قرب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسَعِ
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهُجَّعِ

---

(١) أمين الريحانى : الريحانيات .
(٢) ميخائيل نعيمة : الغربال .

ويقول نسيب عريضه مصورا فكرة العلاقة العرضية بين النفس والجسد ..

يانفس هل لك فى الفصال ... فالجسم أعياه الوصالْ
أم شاقك الذكر القديمْ ... ذكر الحمى قبل السديمْ
فوقفت فى سجن الأديمْ ... نحو الحمى تتلفتينْ

- وأبو ماضى يتأثر بابن سينا فى الفكرة الفلسفية التى تقول بهبوط الحقيقة على الإنسان من المحل الأرفع حين فارقت النورالكلى إلى نفس الإنسان أو عقله مجردا . مستقلا عن الجسد ، فإذا بطل الجسد وانحل إلى عناصره ، حافظت النفس على بقائها الفردى لأنها خالدة " (١) وماعلى الإنسان إلاأن يستبطن ذاته كى يدرك أسرارها قبل أن تنفصل عنه يقول أبو ماضى متقمصا روح ابن سينا حتى فى الوزن والقافية :

أنا لست بالحسناء أول مولع ... هى مطمع الدنيا كما هى مطمعى
فاقصص على إذا عرفت حديثها ... واسكن إذا حدثت عنها وأخشع
ألمحتها فى صورة ! أشهدتها ... فى حالة ؟ أرأيتها فى موضع ؟
إنى لذو نفس تهيم وإنها ... لجميلة فوق الجمال الأبْدَعِ
ويزيد فى شوقى إليها أنها ... كالصوت لم يسفر ولم يتَقَنَّعِ
فتشت جيب الفجر عنها والدجى ... ومددت حتى للكواكب أصبعى
فإذا هما متحيران كلاهما ... فى عاشق متحير متضعضع
وعلمت حين العلم لايجدى الفتى ... أن التى ضيعتها كانت معى(٢)

وجبران :

أشاد بقصيدة ابن سينا فى النفس واعترف بتأثيرها فى معتقده فقال :

" ليس بين مانظمه الأقدمون قصيدة أدنى إلى معتقدى وأقرب إلى ميولى النفسية من قصيدة ابن سينا فى النفس " .

ويقول : " فكأنى به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وأدرك مكنونات المعقولات

(١) جميل صليبا من أفلاطون إلى أبن سينا ص ١١٩ .
(٢) إيليا أبو ماضى : الجداول ص ٨ - ١٢ .

بواسطة المرئيات " فجاءت قصيدته هذه برهانا نيرا على أن العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات العلمية إلى النظريات العقلية ، إلى الشعور الروحى ، إلى الله .

ويلتقط جبران ومضات تتألق فى مانظمه كبار شعراء الغرب مثل شكسبير فى رواياته وتشيلى فى أقواله وغوتى فى تأملاته وبراونن فى مقولاته .. ثم يقول : " ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عديدة . فوضع فى قصيدة واحدة ماهبط بصور متقطعة على أفكار مختلفة فى أزمنة مختلفة . وهذا مايجعله نابغة لعصره وللعصور التى جاءت بعده ، ويجعل قصيدته فى النفس أبعد وأشرف مانظم فى أشرف وأبعد موضوع " (١) .

-٣-

- أما الغزالى :

فيشيد به جبران ويقوم منهجه فى الحياة تقويما ممزوجا بالدهشة والإعجاب يقول : " اعتزل الغزالى الدنيا وماكان له فيها من الرخاء والمقام الرفيع وانفرد وحده متصوفا ، متوغلا فى البحث عن تلك الخيوط الدقيقة التى تصل أواخر العلم بأوائل الدين ، متعمقا فى التفتيش عن ذلك الإناء الخفى الذى تمتزج فيه مدارك الناس واختباراتهم بعواطف الناس وأحلامهم .

وعَنْ فكر الغزالى وفلسفته يقول جبران مؤكداً لنا ماعليه من ثقافة واطلاع فلسفى وأدبى " ووجدت فى الغزالى مايجعله حلقة ذهبية موصلة بين الذين تقدموه من متصوفى الهند والذين جاءوا بعده من الإلهيين . ففى مابلغت إليه أفكار البوذيين قديما شىء من ميول الغزالى ، وفى ماكتبه سبنوزا ووليم بلايك حديثا شىء من عواطفه .

- ويدعو جبران إلى دراسة الغزالى ويتهم الشرقيين بالكسل عن دراسته بينما الغربيون يعرفون عنه أكثر مانعرفه نحن ، فهم يترجمونه ويبحثون فى تعاليمه ، ويدققون النظر فى منازعه الفلسفية ومراميه الصوفية .ثم يقول : " أما نحن الذين نتكلم اللغة العربية فقلما ذكرنا الغزالى أو تحدثنا عنه . لم نزل مشغوفين بالأصداف كأن الأصداف هى كل مايخرج من بحر الحياة إلى شواطىء الأيام والليالى " (٢) وحينما يتحدث جبران عن كسلنا فى دراسته فإنه يعبر عن رأيه فى ماهية هذه الدراسة : ويرى أننا لم ندرس الغزالى من الوجهة الأدبية . ولم نحلل أعماله تحليلا يرقى إلى مستوى تفكيره العميق واتجاهاته الروحية التى تحيل الأفكار الفلسفية إلى مادة أدبية تخاطب الوجدان ، وتغذى العقل الإنسانى .

أما عن الدراسات الأخرى فهى تحلل أعمال الغزالى من الوجهة الفلسفية والدينية وتدرس

(١) جبران : البدائع والطرائف ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) م - ن : ص ٥٠ - ٥١

حياته والعوامل المؤثرة فيها فما أكثرها !! .

وهى لم تكن أصدافا كما يدّعى جبران .. بل هى لب فكر الغزالى وأساس منهجه فى الفكر والحياة .

-٤-

- التأثر بابن الفارض :

لقد لقيت تائيته الكبرى قبولا وإعجابا لدى المهجريين وتأثروا بفلسفته الروحية وتاقوا إلى خمرته الإلهية التى خلقت من قبل أن يخلق الكرم وفى مقدمة الذين تشوقوا إلى مذاقها رشيد أيوب ، ونسيب عريضة .

فرشيد ينظم تائية أخرى يعارض بها تائية ابن الفارض التى أعجب بها وبصاحبها ويسمى أيوب تائيته : " جمال الموت " وهو يرثى بها نفسه ويتحدث فيها عن موته ومايرجو أن يحيطه به أهله من مظاهر البساطة والهدوء والطمأنينة ساعة موته ويتحدث كذلك عن انفصال جسده . وانطلاق روحه إلى عالمها الأعلى ، وعن الراحة الأبدية التى يأمن أن يستريحها جسده إلى غير ذلك من الأفكار الفلسفية والتأملات والخواطر النفسية " (١) .

ويشتاق رشيد أيوب إلى موطن ابن الفارض ويتخيل أن موطنه النجوم فيقول :

ليتنى أعلم فى أىّ النجومْ ... حل رب العاشقين الفارضى
لبعثت النفس من خلف الغيومْ ... فتناجيه ببرق وامض
راح لم يبق لنا غير الرسومْ ... فى حواشى كل سر غامض
سائق الأظعان أين احتجبا ... صاحب الآيات سامى الفكر

- ونسيب عريضه

يعارض التائية الكبرى بمقطوعة صغيرة يتحدث فيها عن ليل الشعراء ويبدؤها بمطلع مشابه تمام الشبه لمطلع رشيد أيوب

فيقول :

كؤوس الهوى دارت علينا بليلة ... وقد أترعت من خمر روح المحبة (٢)

وجبران يقول عن ابن الفارض مُدْرِكًا سِرَّ شفافيته .

(١) د/ نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ص ٢٤٣ .
(٢) م - ن : ص ٥٤٣ .

« كان عمر بن الفارض شاعرا ربانيا ، وكانت روحه الظمآنه * تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة مرفرفة فى عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأمانى المتصوفين . ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة .

ولم يتناول ابن الفارض موضوعاته من مجريات يومه كما فعل المتنبى ، ولم تشغله معميات الحياة وأسرارها كما شغلت المعرى ، بل كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ماوراء الدنيا ويغلق أذنيه عن صخب الأرض ليسمع أغانى اللانهاية (١) .

- ٥ -

- وابن عربى :

فى نظرته المتحررة والبعيدة عن التعصب للعقيدة يؤثر فى الاتجاه العام العقائدى عند المهجريين فهم نبذوا العصبية بدافع من سمو نظرتهم إلى جوهر العقيدة وليس بدافع من خواء قلوبهم من المشاعر المقدسة التى تكن للدين كل إجلال وإكبار .

يقول رشيد أيوب :

أصلـــى لموســـى وأعبـــد عيســـى وأتلـــوا الســـلام عـــلى أحمـــد

وجبران ينبذ فكرة التعصب وظلال ابن عربى تهيمن عليه . ويقول :

« وتقول فكرتكم : الموسية ، البرهمية - البوذية - المسيحية . الإسلام أما فكرتى فتقول ليس هناك سوى دين واحد . مجرد مطلق تعددت ظواهره وظل مجردا مطلقا . وتشعبت سبله ولكن مثلما تتفرع الأصابع من الكف الواحدة "

-٦-

- وعمر الخيام :

برباعياته التى لقيت فى الآداب الكبرى حظوة رفعت من شأنه بين بنى قومه أنفسهم .

(*) هكذا فى النص ولايخفى الخطأ اللغوى فيها : والصياغة الصحيحة " روحه الظمأى "

(١) جبران : البدائع والطرائف ص ٦٧ .

وفيها يبدو الخيام داعية إلى انتهاز الملذات ولكن وراء خواطره المحمومة أسى المفكر ، ولوعة الأسيان ، ورهف الوعى المعوق تجاه أسرار الحياة إلى مايسودها من طابع السخط والضيق بالمنافقين والوصوليين والانتهازيين وأدعياء الدين .

- يقول الخيام :

ألا فلتدرك أنك ستفترق عن روحك

وستمضى فى حجاب أسرار العدم

فاشرب الخمر ، إذ لاتدرى من أين أتيت ؟

وطب نفسا ، فلا تدرى إلى أين تمضى (١)

* * *

من جماعة الذاهبين فى هذا الطريق الطويل

من الذى عاد ليقوه لنا بالسر ؟

إذن حذار أن تبقى مليا على رأس هذين الطريقين .

من شره وحاجة ، إذ أنك لن تعود

* * *

أى مفتى المدينة نحن خير منك صنعا

وعلى مانحن عليه من عربدة نحن أيقظ منك

نحن نشرب دم ابنة العنب ، وأنت دم الناس

فهلم منصفا : أينا شارب الدماء ؟ (٢)

ولايخفى مافى هذه الرباعيات وغيرها من التقاء بأفكار بعض المهجريين ففى الرباعية

(١) د/ محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى ص ١٤٢ .

(٢) د/ محمد غنيمى هلال ، مختارات من الشعر الفارسى ص ١٤٥ .

الأولى تتمثل حيرة أبى ماضى بل تكاد تكون رباعية أبى ماضى ترجمة لكلمات الخيام وكذلك فى الرباعية الثانية التى توضح جهل الإنسان إزاء الموت .

والرباعية الثالثة كلها توحى بموقف المهجريين من رجال الدين الذين زيفوا تعاليم المسيح وجبران من أبرز من يتجهون هذا الاتجاه فى قصصه المتعددة " وتقول د/ نادرة السراج :

ولايجوز أن نغفل تأثر بعض شعراء الرابطة وشعراء المهجر وأدبائه عامة برباعيات عمر الخيام .

فلعريضة مثلا رباعيات متفرقة فى ديوانه .

ولأيوب فى أغانيه كذلك " (١)

(١) د/ نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ص ٢٤٣ .